أهمية المخارج والصفات في نطق الأصوات

سعيد بن سالم بن سعيد آل ثاني قسم القرآن وعلومه

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين؛ سيدنا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين.

اللغة العربية لغة شريفة، وهي ليست لغة قومية؛ فهي لغة اختارها الله سبحانه وتعالى لأن تكون وعاء لكلامه المنزل لهداية الثقلين والإعجاز، وبهذا رفع الله تعالى من قدرها؛ فأصبحت لغة لكل الأمة الإسلامية بأسرها عربها وعجمها، أبيضها وأسودها، لغة القرآن الكريم المصدر الأول من مصادر التشريع الإسلامي، لغة العبادات من صلاة وحج وغيرها.

واللغة العربية لغة رقيقة مرهفة الطبع، لها نغمة خاصة تدخل القلب بإتقان نطقها النطق الصحيح، وذلك بإخراج كل صوت من مخرجه الصحيح الخاص به، وتوفية كل صوت صفاته المميزة التي تبعده وتميزه عن مجانسه، وصفاته المحسنة التي تحسنه وتعطيه نغمته الشعورية الجميلة، والصفة المحسنة تعطي الصوت جرسا خاصا به دون أن يكون ذلك للتمييز بين صوت وصوت آخر؛ ولا يمكن أن تشعر وتعطي الحروف والكلمات والجمل معناها الخاص بها إلا بإخراج كل صوت من مخرجه وتبيين صفاته المميزة والمحسنة.

في هذه العبارات لا أتكلم عن النحو الذي هو معرفة حركة أواخر الكلمات، ولا الصرف الذي يبحث في لفظ الكلمة من حيث وزنها وبناؤها؛ وإنما أتكلم عن النطق الصحيح لحروف اللغة العربية وأصواتها، فالحروف التي يؤلف منها الكلام العربي تسعة

وعشرون حرفا، "وهذه الحروف التسعة والعشرون عظيمة القدر، جليلة الخطر، لأن بها أفهمنا الله كتبه كلها، وبها يعرف التوحيد ويفهم، وبها افتتح الله عامة السور، وبها أقسم، وبها نزلت أسماؤه وصفاته، وبها قامت حجة الله على خلقه وبها تعقل الأشياء وتفهم الفرائض والأحكام، وغير ذلك من شرفها كثير لا يحصى"[1].

ولهذا فعلى متكلم اللغة العربية أن يعتني بالنطق الصحيح لحروف العربية، لا سيما إذا كان الأمر متعلقا بكتاب الله تعالى، حيث إن اللحن في تلاوة حرف من حروف القرآن الكريم قد يغير المعنى المراد إلى معنى آخر مخل بالأداء وباللفظ، فانظر إلى الفرق في اللفظ وفي الأداء وفي المعنى بين: (غير المغضوب عليهم ولا الضالين) وبين (غير المغظوب عليهم ولا الظالين) بإبدال صوت الضاد ظاء، "وهذا لا يجوز في كلام الله سبحانه وتعالى لمخالفته المعنى الذي أراد الله تعالى، فكلمة الظالين بالظاء معناه الدائمين، وهو مبطل للصلاة لأنه غيَّر المعنى، لأن الضلال بالضاد ضد الهدى وبالظاء هو الدوام"[2]. فالفرق بين الصوتين في المخرج وفي الصفات، فلكل من الصوتين مخرج خاص به وصفات تحسنه عن غيره؛ فالضاد يخرج من إحدى حافتي اللسان مع ما يلي الأضراس من الجهة اليمنى أو اليسرى، والظاء تخرج من طرف اللسان وبين أطراف الثنيتين العليين، ويستند طرف اللسان على أطراف الثنيتين السفليين.

ونحن إن نظرنا إلى واقع بعضٍ من المسلمين العرب نجد مفارقة عجيبة في عنايتهم بنطق الأصوات؛ فتجدهم -مع إهمالهم لضبط نطق الحروف العربية- يحرص الواحد منهم كل الحرص على تطبيق القواعد الصوتية في غير اللغة العربية حتى لا يتأثر المعنى باختلاف الصفات أو انحراف المخرج مثل (PARK , BARK)، فلكل كلمة معنى يختلف عن الأخرى، ولكن لحرصه على تطبيق القواعد يدرس ويتعلم ويتدرب حتى لا

---

[1] - (الرعاية لتجويد القراءة وتحقيق لفظ التلاوة، مكي بن أبي طالب القيسي، تحقيق أحمد حسن فرحات، دار عمار، عمان الأردن، الطبعة السادسة، 2011، ص94).

[2] - (تجويد سورة الفاتحة، محمد بن فوزان العمر، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الطبعة الثانية، 1425هـ/ 2004م، ص48)

يقع في المحذور فيسخر منه أقرانه أو من سمعه، وإذا جاء إلى نطق الأصوات العربية لا يبالي ولا يهتم بإتقان نطقها النطق الصحيح حتى وإن كان المعنى يختل ويتأثر باختلاف المخرج أو الصفات.

ومن أمثلة تغير المعنى بتغير الصفات عند تلاوة القرآن الكريم؛ قوله تعالى (الخالق البارئ المصور)، فيبدل القارئ من الصاد سينا (المسور) فالصاد والسين حروف متجانسة ويُفرق بينهما بالصفات، فالصاد مطبق والسين مستفل، ومن أمثلة تغير الصفات مع عدم تأثر المعنى تفخيم الباء من كلمة البارئ، وحقها الترقيق، ولكن لكل صوت جرسه الخاص به الذي يعطيه جماله الصوتي، فلا ينبغي العدول عنه وإنما ينبغي العناية بقواعده وتطبيقه التطبيق الصحيح.

وإليك أخي القارئ هذه الأمثلة التي يمكنك من خلالها أن تقارن بين هذه الكلمات وكيفية نطقها ودور الصفات في التمييز بينها، وما يلحق هذه الكلمات من تغير أو إيهام السامع بمعنى غير مرغوب فيه حتى من قبل المتكلم.

- (أسروا الندامة) و(أصروا واستكبروا استكبارا)
- (يسحبون) و(يصحبون)
- (نحن قسمنا بينهم) و(وكم قصمنا)

فإبدال المتكلم أو القارئ السين مكان الصاد يغير المعنى، وهذا التغير ناتج من عدم مراعاة المكتلم الصفات لكل من السين والصاد، حيث إن السين والصاد يخرجان من طرف اللسان بين الثنايا العليا والسفلى قريبا من السفلى، ولولا صفة الإطباق التي تميز بين الصوتين لاتحدا نطقا.

- (قدحا) و(كدحا)
- (كتاب مرقوم) و(سحاب مركوم)
- فإبدال القارئ القاف مكان الكاف أو العكس يغير المعنى، وهذا راجع إلى عدم إخراج الحرف من مخرجه أو عدم تبيين صفاته.

وقد ذكر العلماء قواعد ينبغي على القارئ أن يلتزم بها عند تعلمه الأصوات العربية، ويطبقها أثناء حديثه وكلامه، وهي تنقسم إلى قواعد علمية وعملية.

- معرفة مخارج الحروف
- معرفة صفات الحروف
- معرفة ما يتجدد لها بسبب التركيب والمجاورة
- رياضة اللسان بذلك وكثرة التكرار

وأصل ذلك كله وأساسه تلقيه من أولي الإتقان، وأخذه عن العلماء بهذا الشأن، وإن انضاف إلى ذلك حسن الصوت وجودة الفك وذرابة اللسان وصحة الأسنان كان الكمال[3].

فقارئ القرآن الكريم إذا تعلم والتزم بهذه الأركان والقواعد استطاع بفضل الله تعالى أن يتجاوز اللحن في قراءته للقرآن الكريم وحديثه أمام الناس، فقراءة القرآن الكريم بطريقة صحيحة تقوم اللسان وتصلح الأخطاء، فعليك به فهو الطريق الأول لإتقان النطق الصحيح.

وقد يكون سبب التبديلات الصوتية لبعض الحروف عند البعض هو التمادي وعدم الاجتهاد في عدم تعلم النطق الصحيح فترة طويلة من الزمن، وهو قادر على التعلم، فتصبح له عادة ويجعل نطق الحرف بصورة خاطئة هو الصحيح؛ فينبغي على المرء الاجتهاد في التعلم والتعليم، وعرض قراءته للقرآن على من أتقن نطق القرآن الكريم، وملازمة حلق التلاوة وعدم الإهمال والتكاسل والتواكل، ولا يدع التعلم للنطق الصحيح خشية اللوم والإحراج أو التكبر، وليجعل نصب عينيه قول الله تعالى: (ورتل

[3] - **(نقلا من كتاب الدراسات الصوتية عند علماء التجويد، غانم قادروي الحمد، دار عمار ،عمان، الطبعة الثالثة، 2009 ،ص 57).**

القرآن ترتيلا)، وقوله تعالى: (الذين ءاتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته)، والحمد لله رب العالمين.